مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:27 عدد:5 (رت 74) السنة: 2023

البيئة العمرانية لمدينة سطيف

دراسة للمورفولوجيا الاجتماعية والحضرية بالتجمعات السكنية الجديدة

The urban environment of the city of Setif
Astudy of the social and urbanmorphology of the new residential communities

لطرش سارة[1]
جامعة محمد لمين دباغين سطيف
latreche.sara@gmail.com2
كتاف الرزقي
جامعة محمد لمين دباغين سطيف
rezkikettaf@yahoo.com2

تاريخ الوصول 2022/12/26القبول2023/07/11النشر على الخط 2023/09/15
Received26/12/2022Accepted11/07/2023Published online 15/09/2023

ملخص :

لقد شكلت المدن و لا تزال مجالا خصبا للدراسات العلمية من جوانب عدة منها الحضرية. الاجتماعية. الثقافية ا العمرانية و الديموغرافية وغيرها مما يشكل البيئة العمرانية. قد تزايد الاهتمام بدراسة هذه الأخيرة خاصة معتزايد عدد السكان الذي عرفته المدن خلال السنوات الأخيرة وتزايد المشكلات المرتبطة بالعلاقة المتبادلة بين المجال و السكان . في الجزائر تتزايد هذه الظاهرة و تتعقد أكثر في ظل الوضعية الراهنة المرتبطة بالمتغيرات السكانية من جهة و سياسة الإسكان من جهة أخرى، وفي هذا السياق تحاول الدراسة الحالية تسليط الضوء علي خصائص البيئة العمرانية بالتركيز علي السمات المورفولوجية الاجتماعية من جهة و الحضرية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية:: البيئة العمرانية ،المدينة ، المورفولوجيا الاجتماعية ، الموفولوجيا الحضرية ، السكن.

Abstract:

Cities have formed, and still are, a fertile field for scientificstudies in many aspects, includingurbanones. Social. cultural, urban, demographic, and othersthatconstitute the urbanenvironment. Interest has increased in studying the latter, especiallywith
The increase in the population thatcities have known in recentyears and the increasingproblemsrelated to the interrelationshipbetween the field and the population. In Algeria, thisphenomenonisincreasing and becoming more complicated in light of the current situation related to demographic variables on the one hand and housingpolicy on the other.
Keywords:*urbanenvironment, city, social morphology, urbanmorphology, housing.*

[1]– المؤلف المراسل: لطرش سارة البريد الإلكتروني: **latreche.sara@gmail.com**

1. مقدمة:

العلاقة بين الإنسان و البيئة قديم بقدر ما هي وثيقة و إن كان يختلف شكل هذه العلاقة من عصر لآخر و من مجتمع لآخر تبعا لدرجة تقدمه و أنماط الحياة السائدة فيه. تعرف البيئة العمرانية بأنها البيئة التي شكّلها الإنسان مند آلاف السنين و التي تضم المساكن والمرافق والمؤسسات وكل ما من شأنه أن يسهّل عليه حياته اليومية سواء كان في القرى أم في المراكز الحضرية أم المدن الكبرى.

إن الاهتمام بالخصائص الشكلية للإطار المبني يكتسي أهمية قصوى لأنه يعبر من جهة على مدى اهتمام الإنسان و سعيه لتطوير محيطه (التوصل إلى صناعة المدن الذكية كالمساكن الحديثة و وسائل النقل المتطورة و الإدارة الالكترونية و غيرها) ومن جهة أخرى مدى تأثيره عليها (مثال على ذلك الأحياء و المدن الفقيرة و التي سمة بارزة لدول العالم الثالث و التي تشهد في نفس الوقت اكتظاظا سكانيا).

تعد الدراسة المورفولوجية للمدينة المفتاح لفهم المجال الحضري وكيفية تطوره وتنظيمه و ذلك من خلال دراستها من جوانب مختلفة كمخطط المدينة و نظام الشارع و طراز الأبنية، كما تدرس المورفولوجيا التركيب السكاني للمدينة بالإضافة إلى خلفياتهم وانتماءاتهم الدينية .

تهدف الدراسة الحالية إلى مقاربة مختلف الجوانب المورفولوجية للبيئة العمرانية في المدينة و انعكاساتها المختلفة على السكان من الناحية الاجتماعية و الحضرية.

مشكلة البحث:

لم يكن النمط العمراني العمودي الذي اتخذته الجزائر كوسيلة لإسكان الأعداد المتزايدة من السكان الحل الأمثل المتماشي مع الطبيعة الاجتماعية و الثقافية وحتى الديموغرافية للمجتمع الجزائري لا بل كانت له انعكاسات مختلفة مثل تغير حجم الأسرة وتحجيم نشاطاتها وأكثر من ذلك تغير مفاهيم جوهرية مثل فضاء اللعب و الترفيه الذي غيب بشكل كبير عن التجمعات السكنية المنجزة. إلى جانب ذلك عرفت العائلة الجزائرية مشكلة عدم التكيف مع الفضاءات السكنية ويرجع السبب في إجراء تعديلات عليها بعد استلامها رغبة في زيادة الانتفاع منها بما يتماشى مع احتياجات الأسرة الداخلية "إضافة غرف أو توسيع المطبخ "أو الخارجية مثل غلق الشرفات أو الاستيلاء على الفضاءات المجاورة للمسكن غير مبالين في كثير من الأحيان بالمخاطر الناجمة عن ذلك ومن جهة أخرى جمالية المبنى أو الحي السكني بصفة عامة.

في الواقع تعود جذور الأزمة الحضرية في المدن الجزائرية إلى المرحلة الاستعمارية، حيث فرض الاستعمار الفرنسي صورة المدينة الأوربية على المجال الحضري المحلي، مع نهاية الحقبة الاستعمارية ارتسمت ملامح الصورة الرباعية الأبعاد للمدينة الجزائرية. يصنفها المختصون كالآتي : مدينة إسلامية أصيلة مهملة يسكنها الجزائريون مدينة القرن التاسع عشر وفق الاتجاه الهوسماني التي تمثل المركز

الوظيفي و يقطنها أغلبية أوروبية وقلة من الجزائريين، التجمعات السكنية و الصناعية للمجتمع الأوروبي بالإضافة إلى الأحياء العشوائية التي أقامها الجزائريون .[1]

لذلك فقد تشكلت البيئة العمرانية للمدن الجزائرية في العهد الاستعماري و يعاد إنتاجها إلى يومنا هذا حيث وصف مارك كوت هذه الوضعية : وإن استفادت المدينة من التطور و النمو ، إلا انه لم يكن ينظر إليها، كظاهرة عمرانية فكانت مجالا لتهيئة لا تخضع لضوابط ، و كانت السلطات العمومية تنجز تجمعات السكن الكبرى دون التفكير في إنجاز المرافق التي تتطلبها ....[2]

بالإضافة إلي ذلك، فقد ألقت هذه الوضعية بظلالها علي الجانب البيئي حيث أدت إلى انتشار التلوث بمختلف أنواعه البصري الضوضائي وانتشار الآفات الاجتماعية مما اثر علي صورة و سمعة المدن و المراكز الحضرية و في هذا السياق انطلقت الدراسة الحالية من التساؤل الرئيسي الموالي :

كيف تؤثر خصائص المورفولوجيا الاجتماعية و الحضرية على البيئة العمرانية بمدينة سطيف؟

فرضيات الدراسة:

تعرف الفروض بأنها التكهنات التي يضعها الباحث لمعرفة الصلات بين الأسباب و النتائج .[3] في هذا الإطار ارتكزت الدراسة الحالية على **الفرضية الرئيسية التالية** :

تتأثر البيئة العمرانية بجملة من الخصائص المورفولوجية الاجتماعية و الحضرية

وفي إطارها تمت صياغة الفرضيات الجزئية :

- تأثر المورفولوجيا الاجتماعية على البيئة العمرانية من خلال تركيبة السكان الديموغرافية و التعليمية والمستوي المعيشي
- ترتبط المورفولوجيا الاجتماعية بجملة من المتغيرات كالعلاقات الاجتماعية و الخلفية الثقافية والهجرة
- تتأثر البيئة العمرانية بالمورفولوجيا الحضرية التي يحددها النمط العمراني السائد . درجة التحضر ..

أهمية الدراسة:

تكمن الأهمية العلمية للدراسة الحالية في أنها بالدرجة الأولى تدرس موضوع مهم حساس و هو البيئة العمرانية بمختلف مكوناتها و خاصة السكن و الذي يعتبر محور اهتمام العديد من الباحثين في مجالات عدة منها علم الاجتماع علم النفس الدراسات الايكولوجية و الهندسية و غيرها .

ارتباط موضوع الدراسة الحالية بالواقع الذي تعيشه المدينة الجزائرية و هو أزمة السكن، ذلك أن هذه الأخيرة متشعبة و متعددة فمن جهة هي أزمة توفير السكن و من جهة جودة السكن ومدى ملائمة لمتطلبات وآمال الفرد الجزائري.

---

[1] معاوية سعيدوني .أزمة التحديث و التخطيط العمراني في الجزائر .مجلة عمران 0 العدد 4/16 ربيع 2016 ص 8

[2] معاوية سعيدوني .مرجع سابق .ص 14

[3] يوسف عنصر .التساؤلات و الفرضيات في البحث الاجتماعي. أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية. منشورات جامعة قسنطينة.1999.ص 144

أهداف الدراسة :

- ليس للباحث هدف أسمى من أن يفهم جوانب الظاهرة التي يدرسها و يتوصل إلى طبيعة العلاقة بين متغيرات موضوع الدراسة.
- محاولة مقاربة مختلف الجوانب العمرانية و الاجتماعية للبيئة العمرانية في المدينة الجزائرية
- محاولة التوصل إلى التأثير الذي يمارسه الفرد على مكونات البيئة العمرانية مسكن الحي المدينة ككل و رصد أهم ملامح التغير في الشكل العام للمجالات السابقة الذكر.

ترتبط المورفولوجيا الاجتماعية بجملة من المتغيرات كالعلاقات الاجتماعية و الخلفية الثقافية والهجرة

.2. تحديد المفاهيم:

يعتبر الإطار المفاهيمي بمثابة الخلفية النظرية التي يعتمد عليها الباحث لكونها تشكل أدوات بحثية تحدد مضمون ودلالة الإشكالية في ترابط عناصرها، ومن هذا المنطلق نحاول تحديد المفاهيم الأساسية التالية للدراسة :

2-1.مفهوم المدينة :

تعرف المدينة لغة بأنها مجتمع من البيوت يزيد عن عدد بيوت القرية [1].

أما اصطلاحا فتشير المدينة إلى كل ما يختلف عن الريف من حيث الاتساع و عدد السكان و طراز المباني و هي مجال لتركز الأشخاص و منطقة للحكم و مركز إداري كما أنها مجال منظم و مقنن لحياة الأفراد و ملكياتهم و هي أيضا انعكاس لتنظيم اجتماعي معقد [2]

و مصطلح المدينة من المصطلحات الرائجة و التي حظيت باهتمام العديد من الباحثين. وتزايد الاهتمام به أكثر خاصة مع ظهور مدرسة شيكاغو.

يعرف لويس ويرث المدينة أنها نمطا من أنماط التباين السكاني و أن نموها يمكن النظر إليه كعملية تاريخية مستمرة فهي مكان إقامة دائمة للسكان المتباينين ، وهناك ثلاث متغيرات تحدد طابع المدينة أولها أعداد السكان و ثانيهما كثافة الإقامة و ثالثهما التباين السكاني و حياة الجماعة و هي أيضا مكان للإقامة تتميز بالكبر و الكثافة يسكنه أفراد غير متجانسين [3]

2-2.مفهوم المورفولوجيا :

لغة : هي كلمة اغريقية الأصل morphe وهي الشكل و logos و تعني دراسة ، فهي العلم الذي يدرس شكل وبناء الكائنات الحية .[4]

---

[1] معجم مجاني للطلاب.منشورات دار المجاني .بيروت. الطبعة الثالثة .1996.ص 903

[2] موسوعة البحث العلمي و إعداد البحوث و الأبحاث و الرسائل .دارالكتب و و الوثائق المصرية . الإسكندرية .دونطبعة.دون سنة نشر .ص 945

[3] محمد عاطف غيث .علم الاجتماع الحضري .مدخل نظري .دار النهضة العربية.بيروت. دون طبعة. 1983.ص 12

[4] Dictionnaire larousse.librairielarousse .p942

اصطلاحا : يعرف علم المرفولوجيا بأنه العلم الذي يقوم بدراسة التكوينات و الصور و الهياكل الجسمية للأفراد من حيث الشكل و الحجم و نسب الأعضاء و بنيتها الداخلية بهدف التعرف على خصائص الأجناس و الجماعات البشرية في الدراسات الأنثروبولوجية[1]

المورفولوجيا الاجتماعية: يعد اميل دوركايم هو أول من استخدم مصطلح المورفولوجيا الاجتماعية للإشارة إلى أمر مهم في المجال السوسيولوجي و هو أن الحياة الاجتماعية تقوم بأسرها على الشكل الأول الذي تتخذه الجماعة البشرية على الأرض ،فالمورفولوجيا الاجتماعية تعني عند دوركايم وتلامذته بدراسة المجتمع باعتباره ظاهرة مادية أي دراسة الشكل المادي للمجتمعات من حيث عدد أفرادها و كيفية انتشارهم فيها و شكل سكنهم و شكل سكنهم و الهجرات و المهن [2]

تعرف المورفولوجيا الاجتماعية بأنها علم التشكل الاجتماعي وهو العلم الذي يتضمن الدراسات السكانية التي تهتم بتشكل المجتمعات و أشكالها و صيغها المادية و العناصر التي تتألف منها و بتوزيع السكان الجغرافي و الهجرة الداخلية و الخارجية وأنماط السكن و المساكن و غير ذلك [3]

المورفولوجيا الحضرية تعرف على أنها الميدان الذي يهتم بدراسة المجال الحضري من حيث أشكال المساكن وأكثر عموما العمارات والمنازل و التجمعات السكنية و الهيئات العمومية مثل مقر البلدية و البريد و المحاكم و الثانويات و المدارس و مناطق الترفيه ومحطات النقل و مناطق الخدمات التجارية إلى غاية الشكل الكلي للمدينة من حيث الطرق و المساحات و ارتباطها مع مدن مجاورة[4].

كما استخدم هذا المصطلح لوصف أحد مناهج دراسة جغرافية الحضر و الذي يعكسه الشكل العام للمدينة و نمو المنطقة المبنية وخطة المدينة و تصميم شوارعها.

التعريف الاجرائي للمورفولوجيا الحضرية والاجتماعية :

هي عبارة عن دراسة تركز على الخصائص الشكلية للإطار المبني و ارتباطها بالمتغيرات الاجتماعية وتأثير كل ذلك على الإطار العام للحياة اليومية للفرد داخل المدينة.

2-3. مفهوم السكن :

تشير كلمة سكن habitat باللاتينية إلى المكان لمنظم الذي يسمح للفرد بتحقيق حاجاته الفيزيولوجية الروحية والعاطفية .[5]

يري سوفاج أن مفهوم المسكن مفهوم واسع يشمل العديد من المصطلحات أهمها:

المنزلle domicile : وهو عبارة عن ملكية صادرة عن تقرير شرعي يسمح للفرد بالبقاء فيه وباستعماله

[1] عبد الفتاح مراد. موسوعة البحث العلمي و إعداد البحوث و الأبحاث و الرسائل .دار الكتبو الوثائق المصرية . الإسكندرية .دون طبعة.دون سنة نشر.ص942

[2] المرجع نفسه ص 1313

[3] محمد عرب الموسوي .موفولوجية مدينة الجميل من واقع الدراسة الميدانية .مقال الكتروني نشر بمدونة الكاتب بتاريخ 30 جوان 2014.

[4] محمد مدحت جابر. جغرافية العمران الريفي و الحضري. مكتبة الأنجلو المصرية.القاهرة .الطبعة الثانية. 2006.ص 515.

[5] سليماني جميلة . دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي.الآليات النفسية و الاجتماعية للمسكن.دار هومة. الجزائر.2011 ص8

المسكن يعبر عن البناية ، ويرمز إلى القبول و الاستقبال ،آلة للسكن تشير إلى المجهودات التي يبذلها المهندسون المعماريون لإنجاز مسكن و البيت وهو الفضاء الشخصي الذي يحمل صدى انفعالي قوي، يسمح بان يشعر بذاته و بان يكون هويته

3- نشأة الدراسات المورفولوجية:

يعد الاتجاه الهوسماني ، من الأمثلة الرائدة في مجال التغيير المورفولوجي للمدينة . ارتبط أسم الاتجاه الهوسماني بأسلوب حضري ،و معماري ميز الانجازات الحضرية في مدينة باريس و قد وضع من طرف البارون هوسمان في نهاية القرن 19،يتميز هذا الاتجاه بتغيير مذهل للنسيج الحضري و بصفة أساسية في المركز من خلال تعويضه بنظام شبكة مواصلات جديدة بالإضافة إلى بعض التجهيزات و الفضاءات

ولعل ما أكسب هذا الاتجاه أهمية أكبر هو أنه تميز بنمط معماري ملائم و موجه كل الشرائح الاجتماعية بالإضافة إلى ذلك كله فإنه كان موجه لتحقيق جملة من الأهداف:

- ضمان الحركة و التنقل بين مناطق المدينة .
- السلامة والصحة (تجنب انتقال الأمراض المعدية).
- الحفاظ على جمالية المكونات الحضرية للمدينة.

تواصلت عمليات التجديد على الطريقة الهوسمانية إلى غاية الحرب العالمية الأولى في كل من باريس و باقي المدن الفرنسية ، وإلى الكثير من المدن الأوروبية و الإفريقية مثل القاهرة و بيونس آيرس .

و قد أسهم ذلك في تزايد الاهتمام بدراسة العلاقة بين البناء الاجتماعي و البيئة الفيزيقية خاصة المجال الحضري، في ضوء نماذج التوزيع المكاني للسكان و الخدمات و الكثافة السكانية و نمط الحياة و مختلف مكونات الشكل الاجتماعي .

يقترح موريس هالبواك في كتابه المورفولوجيا المقصود بالبنى الاجتماعية و الأشكال الاجتماعية ، يعتبر هالبواك أن المظهر الخارجي للأشياء المعدنية و تنظيم الطبقات الجيولوجية وأشكال النباتات و بنية الأعضاء و الأنسجة كلها أمثلة للدراسات المورفولوجية في مجال العلوم الطبيعية أما في المجال الاجتماعي يجري الحديث عن الأشكال في مفهوم غامض و مجازي و بالتالي علينا تحديد المقصود بالبنى و الأشكال الاجتماعية [1] ، ويحددها كالتالي :

أولا : شكل توزيع السكان على مساحة الأرض و الذي يعتبر واقع مادي محض في مظهره يمثل طبيعة المكان و ظروفه بالإضافة إلى ما يصبح عليه نتيجة لتوطن السكان فيه

ثانيا : تعتبر بنية الجماعة السكانية في مظهرها في تكوينها من الجنسين و الأعمار المختلفة حيث تكون الفروق في هذا المجال ملموسة و في نفس الأهمية بالنسبة للخصائص المادية . وتكون هذه المتغيرات قابلة للامتداد (زيادة النمو السكاني في فئة عمرية معينة أو في كل الفئات) و الحركة و التنقل مثل انتقال الأسر و الجماعات داخليا أو خارجيا.

ثالثا: الشكل الثالث هو ما يعرف بالوقائع الأخلاقية و يركز في هذا الجانب على العلاقات الاجتماعية بين السكان كعلاقات القربى و الجيرة .....

[1] موريس هالبواك . مرجع سابق.ص 29

و يتأثر كلا الجانبين (المورفولوجيا الاجتماعية و الحضرية) فيما بينهما بشكل متفاوت ، بحيث يؤثر كل جانب على الآخر وينعكس ذلك على المجال الأكبر و هو المدينة.

4- أنماط السكن و السياسة العمرانية في المدينة الجزائرية :

4-1.أنماط السكن: تشترك أغلب المدن الجزائريةفي انتشار أنماط عمرانية موحدة uniforme مما أثر بشكل سلبي على جمالية المدن و أفقدها الخصوصية المحلية و المتجول داخل المدن الجزائرية لا يكاد يلمح الاختلاف فيما بينها في ظل التكدس العمراني ذلك بإعادة استنساخ النمط العمراني. ونذكر فيما يلي مختف هذه الأنماط

4-1-1.السكن الهش : اختلفت التسميات المعبرة عن هذا النمط العمراني مثل الأحياء القصديرية أو العشوائيات حسب ظروف المجتمع و الظروف المعيشية و النظم الاجتماعية السائدة به ، يعرف في الجزائر بالسكن الفوضوي و في تونس GOURBI أو الكوخ ، في مصر يعبر عنها بالعشوائيات ،و في المغرب الزريبة باللغة الفرنسية يسمى هذا النوع من المساكن BIDON VILLE أو ما يعرف بأحياء الصفيح وbaraka أو البرارك باللغة الاسبانية .[1]

و تعرف هيئة الأمم المتحدة السكنات الهشة بأنها عبارة عن تجمعات سكنية على هامش المدينة بنيت بدون ترخيص قانوني وهي تعتبر منطقة عشوائية لدى السلطات المحلية ، سكانها أغلبيتهم من الفقراء و أحياؤهم تفتقر إلى الخدمات و الهياكل القاعدية من جهة ، وإلى عقد الملكية من جهة أخرى . [2]

و تعد هذه السكنات من التبعات الأساسية للنمو الحضري خاصة في دول العالم الثالث ، ويعود ظهورها في الجزائر إلى المرحلة الاستعمارية حيث تشير الإحصائيات أن نسبة 30% من الجزائريين يقيمون في السكنات العشوائية نتيجة لظروف فرصتها السياسة الاستعمارية للتأثير على الثورة ، بعد الاستقلال أثرت المخططات التنموية الجهوية في تفاقم هذه الظاهرة .

4-1-2.السكنات الجماعية: ظهر السكن الجماعي بعد الحرب العالمية الأولى و ذلك للتغلب على أزمة السكن و الإسكان التي عرفتها الدول الأوروبية نتيجة الدمار الذي لحق بها .و قد اتجهت هذه الدول إلى إنتاج هذا النمط من الإسكان نتيجة للفوائد الاقتصادية التي يقدمها كما يوفر هذا النمط أراضي كثيرة تستعمل كمساحات خضراء و تسهل تمركز عدد كبير من السكان حول المناطق الصناعية و التجارية [3]

أما في الجزائر فقد ظهر هذا النمط من الإسكان في عهد الاستعمار الفرنسي حيث أنجز المستعمر بعض الأحياء في مدينة قسنطينة لتجميع سكان الريف في المناطق الحضرية لمراقبة الثوار و الحد من انتشار الثورة .أما بعد الاستقلال و بهدف الحد من توسع الأحياء القصديرية الناجمة أساسا عن الهجرة الريفية الكبيرة اتبعت الجزائر سياسة للإسكان تهدف إلى القضاء على السكن الفوضوي بحيث لجأت الدولة الجزائرية إلى بناء عمارات تجمع فيها أكبر عدد ممكن من السكان في أقل مساحة ممكنة .

[1] العربي بوحسون و علي بوزيد. التغييرات و التعديلات على المسكن في ظل البيئة العمرانية الحديثة.مجلة العلوم الاجتماعية .العدد 21.ديسمبر 2015.ص 282.

[2] المرجع نفسه. ص 283.

[3] عبد الحميد دليمي.مرجع سابق .ص 167

4-1-3.النمط الفاخر : برز هذا النمط في الدول الأوروبية ثم انتقل الجزائر عن طريق المستعمر الفرنسي ، ويعبر اسم فيلا عن منزل للسكن واسع و به حديقة و يكون عادة على ضفاف البحر و في المناطق الريفية [1]

و هو عبارة عن إسكان مخصص لطبقة اجتماعية معينة تتميز بالرفاء الاجتماعي ، و هي نوعين في الجزائر تلك التي بنيت في عهد الاستعمار و التي تعبر عن الطبقة البورجوازية

4-2.مراحل النمو العمراني لمدينة سطيف :

يمكن تقسيم مراحل النمو العمراني لمدينة سطيف إلى ثلاث مراحل متباينة:

4-2-1.مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي :

يعود تاريخ نشأة مدينة سطيف إلى عصر ما قبل الرومان ، غير أن أول من حدد مجالها العمراني و أحاط بها الأسوار هم الرومان و شهدت خلال هذه المرحلة حركة تنموية و تنظيما إداريا و اجتماعيا خاصا كما أعطوا للمدينة صبغة جمالية و فنية ومازالت الآثار التي خلفتها هذه المرحلة شاهدة على ذلك إلى غاية اليوم مثل حديقة الأمير عبد القادر التي تحوي 300قطعة أثرية منقوشة [2]، بعد دخول الإسلام و في العهد العثماني لم تحض المدينة بنفس الأهمية التي حظيت بها بعض المدن الأخرى كبجاية وتلمسان وغيرهما ...

4-2-2. مرحلة الاستعمار الفرنسي: تقسم هذه المرحلة هي الأخرى إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى 1839- 1954 : نشأة النواة : منذ دخول المستعمر الفرنسي منطقة سطيف أحدث تغييرات عدة ، عرفت سنة 1843 إصدار أول مخطط حصري لمدينة سطيف تم إنشاء مركز البريد و البنك ثم فندق المدينة و قاعة الحفلات سنة 1856 و لتوفير السكنات للمعمرين و اليهود الذين قرروا الاستقرار بمركز الهضاب العليا باعتبارها منطقة استراتيجية من ناحية دفاعية ومنطقة منتجة فلاحيا من ناحية أخرى أنشا المستعمر العديد من السكنات بنمط الحارة لإسكان العمال و اليهود ، لكن المعمرين فضلوا الإقامة في العمارات و المساكن الفردية (مثل عمارة [3] (Brincat

و ليصبح هذا النمط "الحارة " هو النمط السائد و المميزة العمرانية للمدينة ، والذي يقطنه عدد كبير من السكان المحليين ، وهو يمثل نموذج عمراني و اجتماعي متميز من خلال تصميمه الداخلي حيث تتشارك عدة أسر مسكن واحد وتتقاسم فضاء واحد وهو الحوش والذي يمثل محور الحياة اليومية و نفس نفس الوقت هذا النمط العمراني يراعي إلى حد كبير خصوصية العائلة السطايفية .

4-2-3.المرحلة الثانية 1954- 1962 :

تميزت هذه المرحلة بظهور الأحياء العشوائية نتيجة للظروف التي عايشها الجزائريين حيث جلب القطاع الزراعي أعداد هائلة من العمال ، بالإضافة إلى انخفاض الأجور و تردي الأوضاع الاقتصادية بالإضافة إلى ذلك سياسة التضييق على الثورة التي انتهجتها

[1] Dictionnaire Larousse. opcit. p 1654

[2]Setif de ma jeunesse

[3]M.Abbaoui.N.Azizi. Les Harat de Sétif . Département de l'architecture .université Ferhat Abbes . 1340

الإدارة الاستعمارية ، ونتيجة ظهرت العديد من الأحياء الشعبية التي تتميز باكتظاظها و بساطة تصميمها منها حي يحياوي "طابجة" و "البيرقاي".

و عرفت هذه المرحلة أيضا استفادة مدينة سطيف من المخطط الحضري أو مشروع قسنطينة و الذي يتمثل في إقامة العديد من المشاريع الإسكانية مثل حي السيلوك 1960و حي الهواء الجميل و بفضل هذه التجمعات اكتسبت المدينة توسعا أكبر بـ 285.15 هكتار [1]

مرحلة ما بعد الاستقلال: تميزت مرحلة ما بعد الاستقلال بتعقد وضعية الإسكان في المدن الجزائرية في ظل وضعية اقتصادية هشة صاحبها نموا سكانيا متزايدا و حركات هجرة كثيفة نحو المدن والمناطق الشمالية .ولمواجهة هذه الوضعية كان لزاما أن توجه مخططات التنمية لحل أزمة السكن من خلال إتمام المشاريع السكنية التي التي كانت مبرمجة قبل الاستقلال مثل حي الهواء الجميل حي بيزار 80 مسكن ، ثم انجاز تجمعات سكانية كبرى لتوفير أكبر قدر ممكن من السكنات و التي تعدت في أغلبها 300 مسكن مثل حي 600 مسكن و 1006 مسكن و حي 1014 مسكن كما تم انجاز العديد من المرافق العمومية والخدماتية استجابة للنمو السكاني الذي عرفته المدينة كباقي المدن الجزائرية .

في بداية تسعينات القرن الماضي دخلت مدينة سطيف مرحلة جديدة سميت بمرحلة الوكالات العقارية ، حيث تم تجزئة بعض الأراضي و بيعها للسكان و بعض الوكالات العقارية مما أدى إلى استغلال الجيوب و الفراغات الحضرية داخل الأحياء القديمة و ذلك لإنشاء مشاريع سكنية جديدة أو لإقامة مرافق ضرورية للسكان وقد أكسبت هذه الوضعية مظهرا مورفولوجيا متداخلا بين العديد من أنماط البناء في نفس الوقت دون مراعاة المعايير الجمالية .

عرفت المدينة نمو مجاليا و امتدت أطرافها وظهرت تجمعات سكنية جديدة بالتزامن مع اعتماد الدولة لصيغ سكنية جديدة تطبيقا للقرار الوزاري الصادر في 15 مارس 1998، منها السكن الاجتماعي التساهمي ، السكن الترقوي البيع بالإيجار وإن كان تطبيق هذه الصيغ المساهمة في إسكان عدد كبير من الأفراد و إلا أنه أكسب المدينة كتلا إسمنتية .

يبين الجدول الموالي توزيع المساكن المشغولة حسب نوعية البناء حسب إحصاء 2008:

البلدية نوع البناء	العمارة	المسكن الفردي	المسكن التقليدي	المسكن الآخر العادي	البنايةالقصديرية	غير مصرح بها	المجموع
سطيف	**17792**	**24430**	**2145**	**189**	**1838**	**973**	**47367**

المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية سطيف

5-منهج الدراسة

يعرف المنهج العلمي بأنه جملة من المبادئ و القواعد الإرشادات التي يجب على الباحث إتباعها من بداية البحث من بداية البحث إلى نهايته للكشف عن العلاقات العامة و الجوهرية و الضرورية التي تخضع لها الظاهرة موضوع الدراسة .[2]

[1] المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير.ص 119

[2] بلقاسم سلاطنية.منهجية العلوم الاجتماعية.دارالهدى للطباعة و النشر. دون طبعة. 2004. ص 27.

اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي ، كمنهج أساسي نظرا لطبيعة الموضوع وأهداف الدراسة، وهو طريقة من طرق التحليل و التفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية و تصويرها كميا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة و تصنيفها و تحليلها و إخضاعها للدراسة الدقيقة.

5-1.أدوات جمع البيانات :

5-1-1.الملاحظة: لقد أجمع علماء المنهجية على أن الملاحظة العلمية هي من العمليات المعقدة التي تتطلب تخطيطا دقيقا و تقوم على أساس الاختيار المعقد لبعض المظاهر أو الجوانب الهامة التي يرغب الباحث في ملاحظتها في موقف معين و في فترة معينة [1]

و يعد الدافع الأساسي لاختيار الملاحظة كأداة بحثية باعتبار أن الظواهر المورفولوجية هي ظواهر مرئية تستدعي بالدرجة الأولى ملاحظة الشكل العام للمناطق السكنية و الطراز العمراني.

5-1-2. المقابلة : تعتبر المقابلة من بين الوسائل الهامة لجمع البيانات و المعطيات عن موضوع الدراسة، فالمقابلة هي من الأساليب البحثية التي تتضمن جمع البيانات عن طريق التفاعل الشفوي المباشر بين الباحث و المبحوث ومن خلال هذه الدراسة تم استعمال المقابلة لجمع معطيات و المعلومات التي يتعذر جمعها عن طريق الملاحظة والاستمارة . خاصة في ما يخص آراء المختصين حول الاختلال المورفولوجي لمدينة سطيف و تتمثل في المقابلات التي أجريت مع بعض المهندسين معماريين و أساتذة مختصين في علم الاجتماع .

5-1-3. الاستمارة: اشتملت استمارة الدراسة على 35 سؤالا موزعة كالتالي :

محور البيانات الشخصية:و يتضمن أسئلة متعلقة بمكان الإقامة، السن، الجنس، الحالة المدنية، نوع الأسرة ونوعية السكن....

المحور الأول: محور بنية الحي و تأثيرها على طبيعة الحياة فيه

المحور الثاني: حول تصميم المسكن و تأثيره على الحياة الاجتماعية للفرد .

5-2. العينة خصائصها و كيفية اختيارها :

من المعروف أنه في جميع البحوث الاجتماعية لا يستطيع الباحث أن يدرس أو يستجوب جميع أفراد المجتمع ، لذلك يقوم بأخذ عينة ممثلة لهذا المجتمع ، ونظرا لطبيعة الموضوع الحالي فقد تم اختيار العينة القصدية و التي تتمثل في اختيار عدد من الأفراد الذين تتوفر فيهم شروط محددة و يوفون بغرض الدراسة .وقد انتقت العينة الحالية 90 مبحوث تتوافر فيهم مجموعة من الشروط من أهمها الإقامة في مدينة سطيف ، وبالتحديد في التوسعات الحضرية الجديدة ، كما يجب أن يقيم المبحوث داخل عمارة بمختلف الصيغ السكنية الموجودة في المدينة.

[1] عمار الطيب كشرود.البحث العلمي و مناهجه في العلوم الاجتماعية .الطبعةالأولى.دارالمناهج للنشر و التوزيع. الأردن .2007.ص 228.

خصائص العينة : تتميز مفردات العينة بالخصائص التالية:

الجنس	ذكور		إناث		المجموع	
الفئات العمرية	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[20- 30[	12	13.33%	4	4.44%	16	17.77 %
[35-50[	38	42.22%	22	24.44%	60	66.66%
[50-65[	8	8.88%	2	2.22%	10	11.1%
65 و اكبر	4	4.44%	_		4	4.44%
المجموع	**62**	**68.87%**	**28**	**31.1%**	**90**	**100%**

يوضح الجدول الممثل أعلاه أن أكبر توزيع للمبحوثين في الفئة العمرية من 35- 50 سنة بنسبة 42.22 %بالنسبة للذكور و24.44 %، وهو ما على أن أكبر فئة تقيم بالتجمعات السكانية هي فئة الموظفين و الذين تحصلوا على السكن بصيغ أخرى غير السكن الاجتماعي مثل السكن التساهمي و في نفس الوقت هم أرباب أسر نووية لا يتعدى عدد أفرادها الستة أفراد في أغلب الحالات .

6-نتائج الدراسة :

خلصت الدراسة الحالية إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- يعبر الطراز العمراني عن ثقافة المجتمع ، وهو مرتبط بتغير هذه الثقافة و انفتاحها على ثقافات أخرى و لذلك تنتقل التصاميم الحديثة من منطقة لأخرى و تنتشر بالشكل الذي أصبحنا نشهده ف مدننا اليوم .

- تؤثر الخلفية الثقافية للفرد على نوعية المسكن الذي يعمره أو يقيم به ، بحيث تؤثر الخلفية الريفية مثلا ، وتؤدي إلى خلق فضاء ريفي في كل ما يحيط بالفرد وهذا ما يفسر انتشار الأنشطة الزراعية داخل المدن و بعض الممارسات التي تشوه المنظر الجمالي للمدن .

- يبرز المجال الحضري بالمدينة الجزائرية تداخل الأنسجة الحضرية فيما بينها ، مما يعبر عن استغلال عشوائي للمجال الحضري.

- الاستعانة بتقنية الملاحظة أمكننا من إجراء مقارنة بين مختلف الأحياء السكنية ، فالسكنات التي تنتمي إلى صيغة السكن الاجتماعي تبدو متهرئة من ناحية الطلاء الخارجي بالإضافة إلى غياب المساحات الخضراء ، على عكس السكنات التي بصيغة السكن التساهمي التي تبدو أنظف و أحسن من الناحية الجمالية بالإضافة إلى وجود ساحات مغلقة في أغلب الأحياء و مساحات خضراء و أماكن للعب الأطفال.

- التصميم الداخلي للمساكن غير ملائم لأغلبية السكان من عدة جوانب نلخصها فيما يلي :

- صغر مساحة المساكن في كثير من السكنات مما لا يتيح للأسرة استقبال الضيوف وإقامة الولائم مما يؤثر سلبا على روابط القرابة لأسرة .
- أغلبية المساكن لا تتيح للأسرة الفصل بين الذكور و الإناث ، وإن حدث ذلك فمن خلال استغلال غرف الاستقبال كغرفة للنوم في الليل .

تؤثر مساحة المسكن و نوعيته على السلوك الإنجابي للأفراد فلا يتعدّى عدد الأبناء 4 لدى أغلبية المبحوثين .

تسجل السكنات الجديدة غياب مكون رئيسي وهو الحوش والذي يمثل مجال للأنشطة اليومية للأسرة بحيث تحتوي جميع السكنات على شرفات صغيرة يتم استغلال لها في اغلب الأحيان لتوسيع المطبخ أو غرفة الاستقبال مما يؤثر سلبا على التهوية داخل المسكن و أنشطة الأسرة (مثلا لجوء ربات الأسر إلى غسل الزرابي في غرف الاستقبال).

– العلاقات الاجتماعية للسكان فيما بينهم محدودة جدا ،وذلك لتجنب الوقوع في المشاكل و الصراع فلا يكاد يعرف الجيران بعضهم البعض في كثير من الأحيان ، وقد أدى إلى تغير في قيمة علاقات الجيرة التي كانت تمثل في وقت سابق علاقات قرابة .

– وجود بعض المشاحنات في بعض الحالات بين الجيران، وذلك بسبب تسرب المياه من الطابق الأعلى ، الضوضاء خاصة خلال المساء و أيام الراحة و الشجار بين الأطفال في ساحات اللعب .والمتسبب الرئيسي في ذلك هو قرب المساكن من بعضها البعض و في نفس الوقت سوء انجازها بحيث لا تمنح الأسرة الخصوصية داخل المسكن .

– وظيفة الشرفة لدى أغلبية المبحوثين تتمثل في مكان لتجهيزات معينة مثل خزان الماء آلة الغسيل آلة الطبخ التقليدية (الطابونة) ولكن صغر مساحة المطبخ لا تسمح للأسرة التحرك بأريحية و بالتالي توسيع المطبخ على حساب الشرفة أمر ضروري.

– تمثل الأسباب الأمنية أول داع لخلق الشرفة و ذلك لحماية الأطفال من السقوط بسبب ارتفاع العمارة (سكنات عدل مثلا) ، بالإضافة إلى تأمين المسكن ضد السرقة خاصة في ظل الاقتراب الشديد بين الشرفات، بالإضافة إلى غلق الشرفات للحفاظ على خصوصية الأسر و منح أفرادها (خاصة النساء) حرية التنقل و القيام بمختلف النشاطات من تنظيف أو طبخ دون يراهم أحد.

– على الرغم إلى اتجاه جميع المبحوثين إلى غلق شرفاتهم ، إلا أن الطريقة تختلف من ساكن إلى آخر هناك من يقوم ببنائها وتحويلها إلى غرفة ، وهناك يستخدم السياج الحديدي وهناك من يستخدم الألمنيوم و هو ما يعطي منظرا مشوها للعمارة .

7. خاتمة:

يعدّ الاهتمام بالجوانب المادية و الشكلية للإطار المبني الخاص بالسكان من المواضيع الشائكة ذات الأهمية العالية و قد أبرزت الدراسة الحالية أهمية الخصائص المادية و تأثيرها في الحياة اليومية للسكان

إن ما تشهده المدن الجزائرية الحالية في ظل التحولات الديموغرافية (ارتفاع معدلات الخصوبة ، تزايد نسبة السكان في المرحلة العمرية المتوسطة15 –60 سنة ، نمو حضري ملحوظ) وقد أثر وبشكل كبير على نوعية وجودة الحياة داخل الأحياء السكنية ولعل انتشار العنف وارتفاع معدلات الإجرام وظهور ما يعرف بعصابات الأحياء.

في الحقيقة يقودنا كل ماسبق إلى ضرورة التكاتف لايجاد حلول فعلية من خلا تكاتف الجهود و تشارك مختصين في تخصصات مختلفة علم الاجتماع علم النفس الهندسة المعمارية القانون وهيئات المجتمع المدني و ذلك للاهتمام بالمورفولوجيا الاجتماعية

والحضرية لمدن وذلك بغرض خلق بيئة عمرانية تلبي متطلبات السكان و احتياجاتهم من جهة ، تقدم صورة جيدة عن تراث المجتمع.

8. قائمة المراجع:

1- معجم مجاني للطلاب.منشورات دار المجاني .بيروت. الطبعة الثالثة .1996.
2- اسماعيل قيرة. أي مستقبل للفقراء في البلدان النامية . جامعة منتوري . قسنطينة
3- بلقاسم سلاطنية.منهجية العلوم الاجتماعية.دارالهدى للطباعة و النشر. دون طبعة. 2004.
4- خلف الله بوجمعة. العمران و المدينة. دار الهدى للطباعة و النشر .دون طبعة .2005.
5- سليماني جميلة . دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي.الآليات النفسية و الاجتماعيةللمسكن.دار هومة. الجزائر.2011
6- عمار الطيب كشرود.البحث العلمي و مناهجه في العلوم الاجتماعية .الطبعةالأولى.دارالمناهج للنشر و التوزيع. الأردن .2007.
7- موريس هالبواك.المورفولجياالاجتماعية.ترجمة حيدر. الطبعةالأولى.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر .1986
8- موسوعة البحث العلمي و إعداد البحوث و الأبحاث و الرسائل .دار الكتبو الوثائق المصرية . الإسكندرية .دون طبعة.دون سنة نشر
9- محمد عاطف غيث .علم الاجتماع الحضري .مدخل نظري .دار النهضة العربية.بيروت. دون طبعة. 1983.
10- محمد عرب الموسوي .موفولوجية مدينة الجميل من واقع الدراسة الميدانية .مقال الكتروني نشر بمدونة الكاتب بتاريخ 30 جوان 2014
11- محمد مدحت جابر. جغرافية العمران الريفي و الحضري. مكتبة الأنجلو المصرية.القاهرة .الطبعة الثانية. 2006.
12- يوسف عنصر .التساؤلات و الفرضيات في البحث الاجتماعي. أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية. منشورات جامعة قسنطينة.1999
13- معاوية سعيدوني .أزمة التحديث و التخطيط العمراني في الجزائر .مجلة عمران العدد 4/16 ربيع 2016
14- العربي بوحسون و علي بوزيد. التغييرات و التعديلات على المسكن في ظل البيئة العمرانية الحديثة.مجلة العلوم الاجتماعية .العدد 21.ديسمبر.
15- المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير
16- Dictionnaire larousse.librairieLarousse .France
17- Denise morel. Sétif de ma jeunesse.septembre.2001
18- M.Abbaoui.N.Azizi. Les Harat de Sétif . Département de l’architecture .université Ferhat Abbes